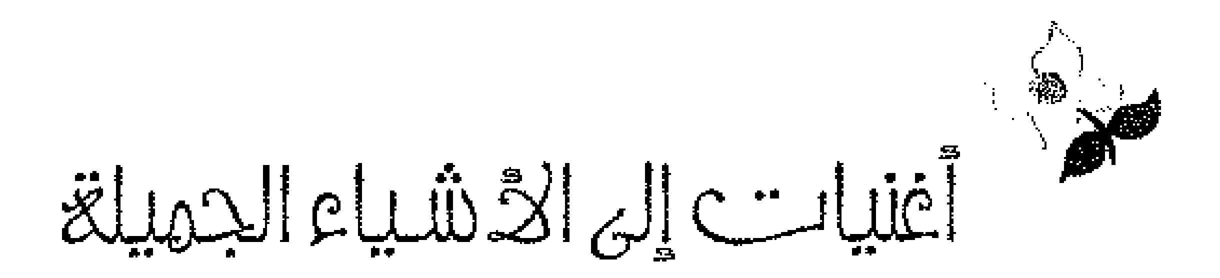


أغنيات إلى الأشياء الجميلة

عبد الوهاب المسيري

صفاء نبعة


أغنيات إلى الأشياء الجميلة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 2001/15185
I.S.B.N: 977-09-0744-8
دار الشروق القاهرة: 8 شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب: 33 البانوراما - تليفون: 4023399
فاكس: 4037567 (202)



أغنيات إلى الأشياء الجميلة

عبد الوهاب المسيرى

رسوم: صفاء نبعة

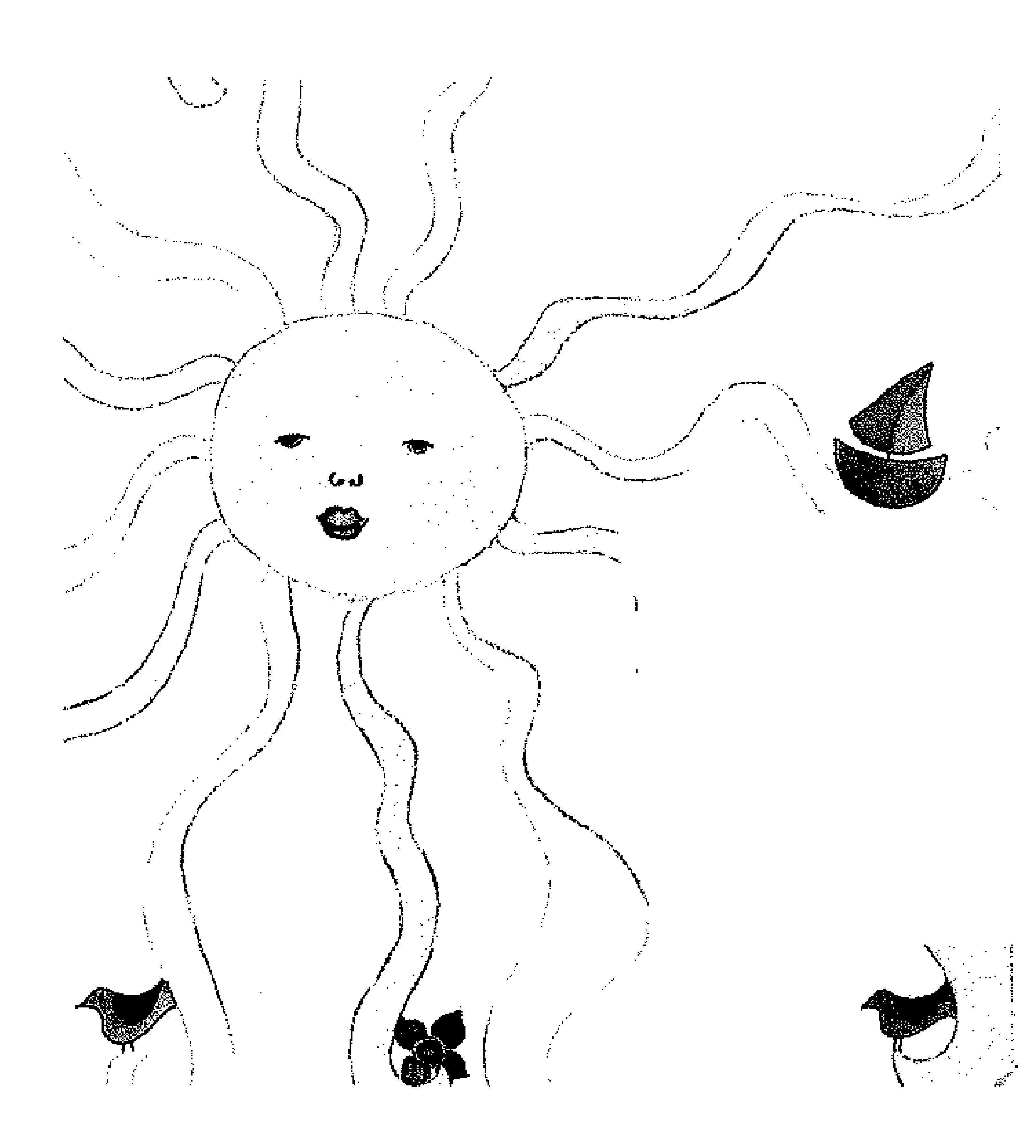
كان الديكُ حسنٌ ينظُر من الشُّباك، حينما رأى ياسراً ونوراً ونَديماً عائدين من المدرسةِ، فأخبرَ الجملَ ظريفًا في الحالِ، وجريا سويًّا إلى البابِ لاستقبالِ الأطفالِ. وما أن فتحتْ نور البابَ حتى قالا في نفس الوقتِ: «لماذا تأخرتم؟ اليوم هو الخميسُ، يوْم زيارة جزيرة الدويشةِ». قال ياسر: «نحن متعبون جدّاً ونَودُّ أنْ نستريحَ قليلاً». قالت نور: «فلنسترح أولاً ونأكل بعض الساندوتشات،

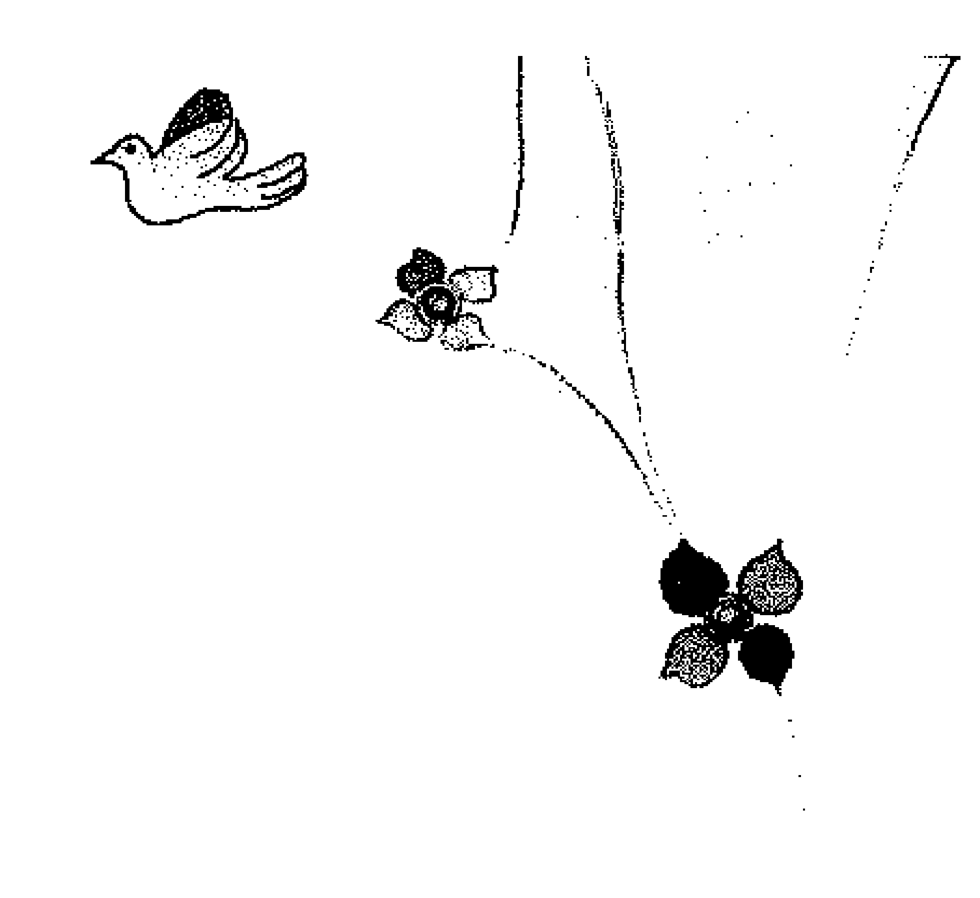
ثم سأقْرأ عليكم بعضَ القصائدِ.» قال ظريفٌ:
«لِمَ لا نذهَب إلى جزيرةِ الدويشةِ، بدلاً من
البقاءِ في المَنزلِ وقَراءةِ قصائد صَّعبة؟».
ضحكت نور ثم أمسكت بكتابِ القصائدِ
وقالت: «يا ظريفُ، القصائدُ ليست صعبةً، بل
هِي سهلةٌ وجميلةٌ مثل الأغاني. هذه القصائد
كتبها لي أبي في عيد ميلادي، اسمها:

أغنيات إلى الأشياء الجميلة

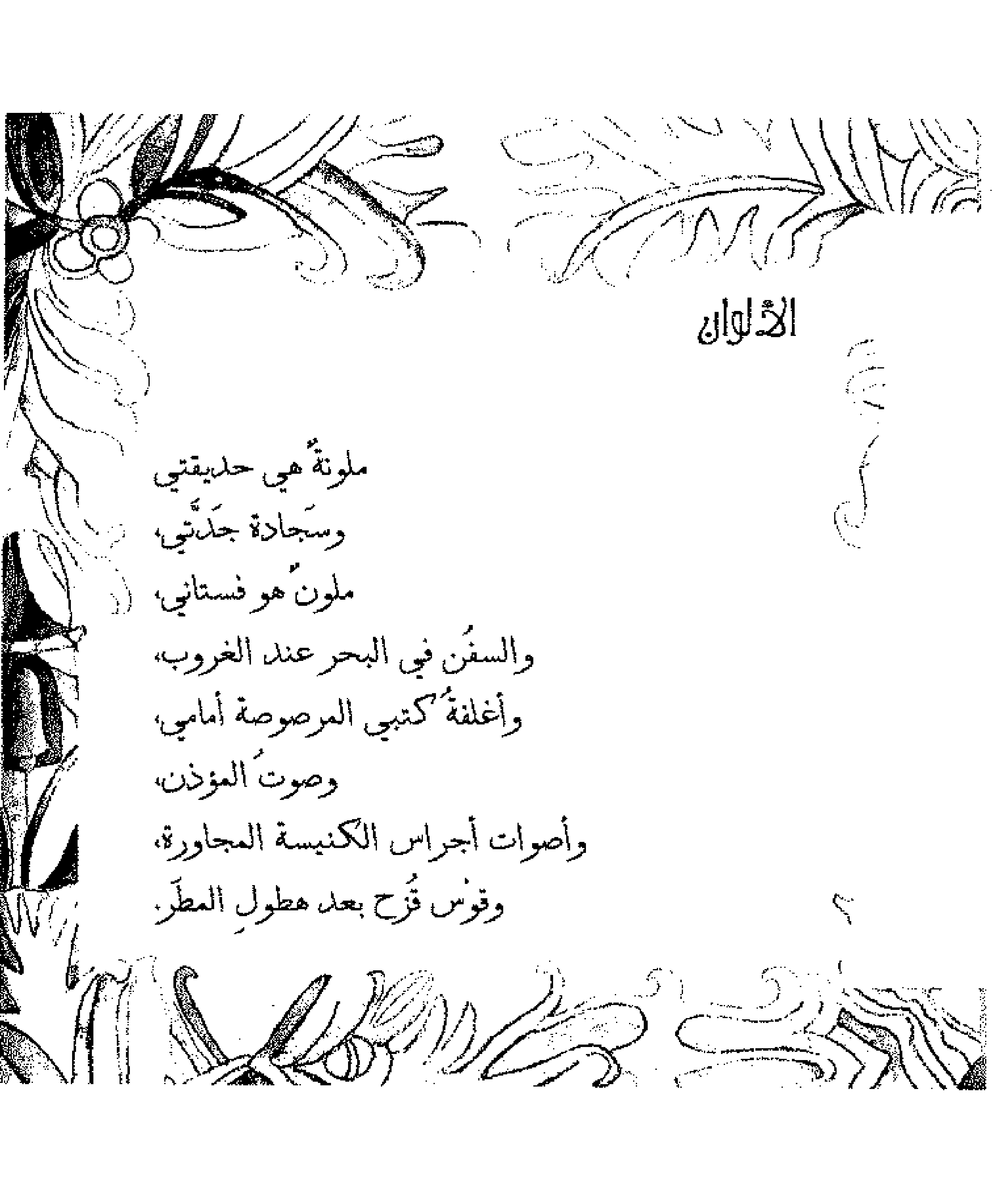
وافق الجميع على سماع القصائد. فجلسَ ظريفٌ على الأرضِ، وخَلع ياسرٌ جاكتة المدرسةِ وجلسَ على كرسيِّ المَكْتب. أمَّا نديمٌ فقدْ تمدَّد على السَّرير، وظلَّ الديكُ حسنٌ واقفًا على حافَّة النافذةِ، وبدأتْ نُور في قراءةِ القصائدِ..





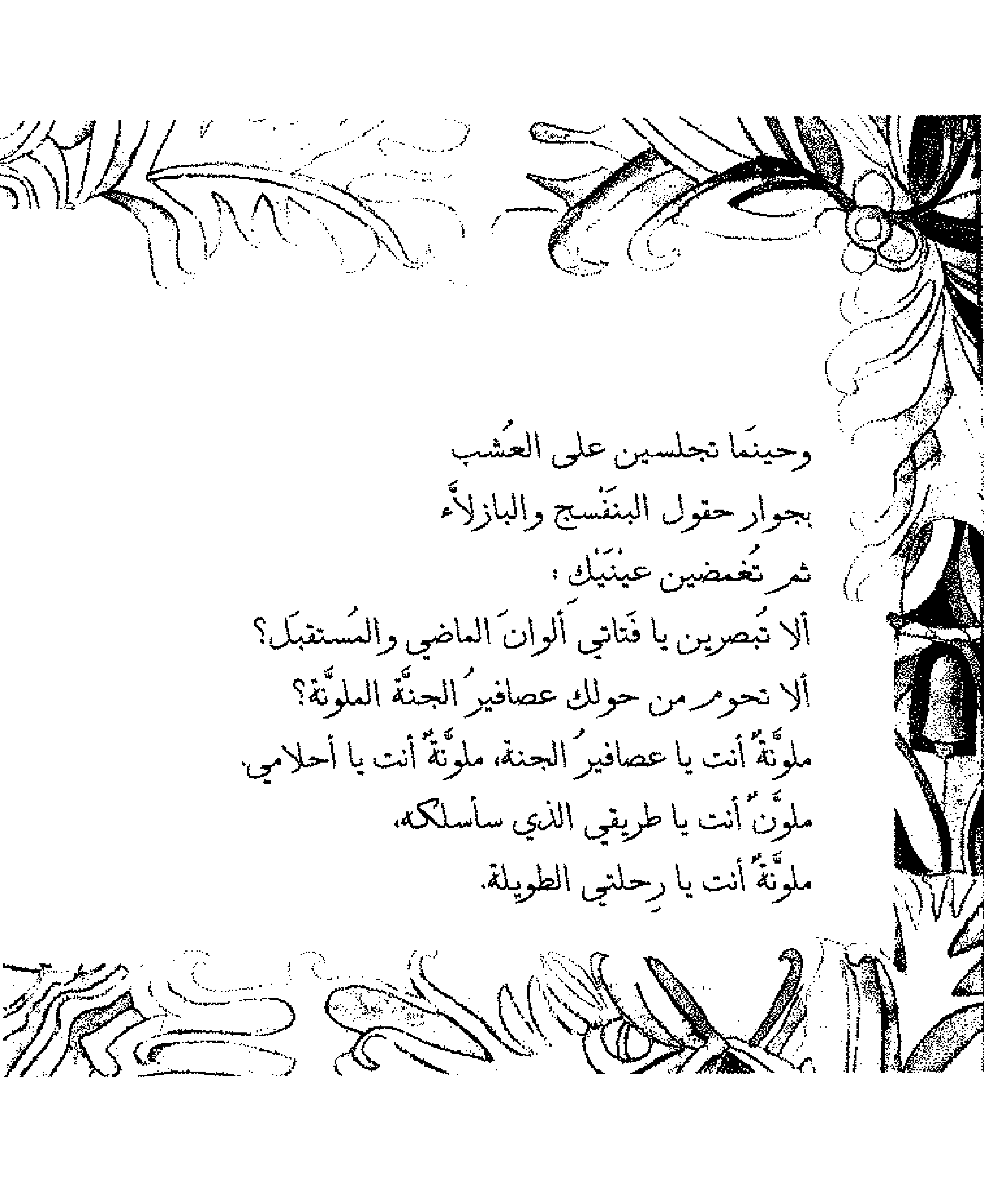


الطفولة

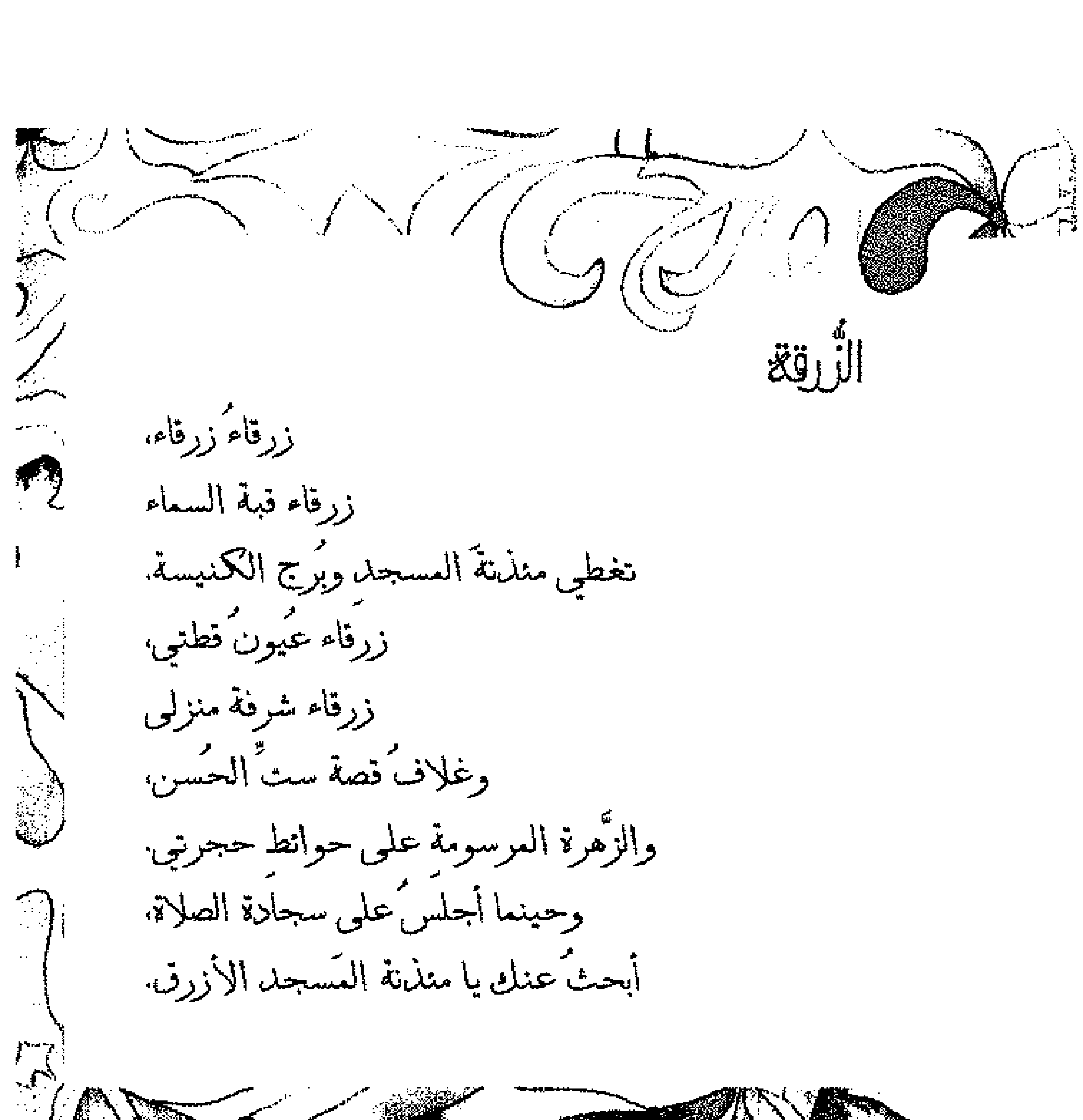


الألوان

ملونةٌ هي حديقتي
وسجادة جدّتي،
ملونٌ هو فستاني،
والسفُن في البحر عند الغروب،
وأغلفةُ كتبي المرصوصة أمامي،
وصوتُ المؤذن،
وأصوات أجراس الكنيسة المجاورة،
وقوس قُزح بعد هطولِ المطَر.



وحينمَا تجلسين على العُشب
بجوار حقول البنَفسج والبازلاَّء
ثم تُغمضين عينَيْك :
ألا تُبصرين يا فَتاتي ألوانَ الماضي والمُستقبل؟
ألا تحوم من حولك عصافيرُ الجنَّة الملوَّنة؟
ملوَّنةٌ أنت يا عصافيرُ الجنة، ملوَّنةٌ أنت يا أحلامي،
ملوَّنٌ أنت يا طريقي الذي سأسلكه،
ملوَّنةٌ أنت يا رِحلتي الطويلة.



الزرقة

زرقاءُ زرقاء،

زرقاء قبة السماء

تغطي مئذنةَ المسجدِ وبُرج الكنيسة.

زرقاء عيونُ قطتي،

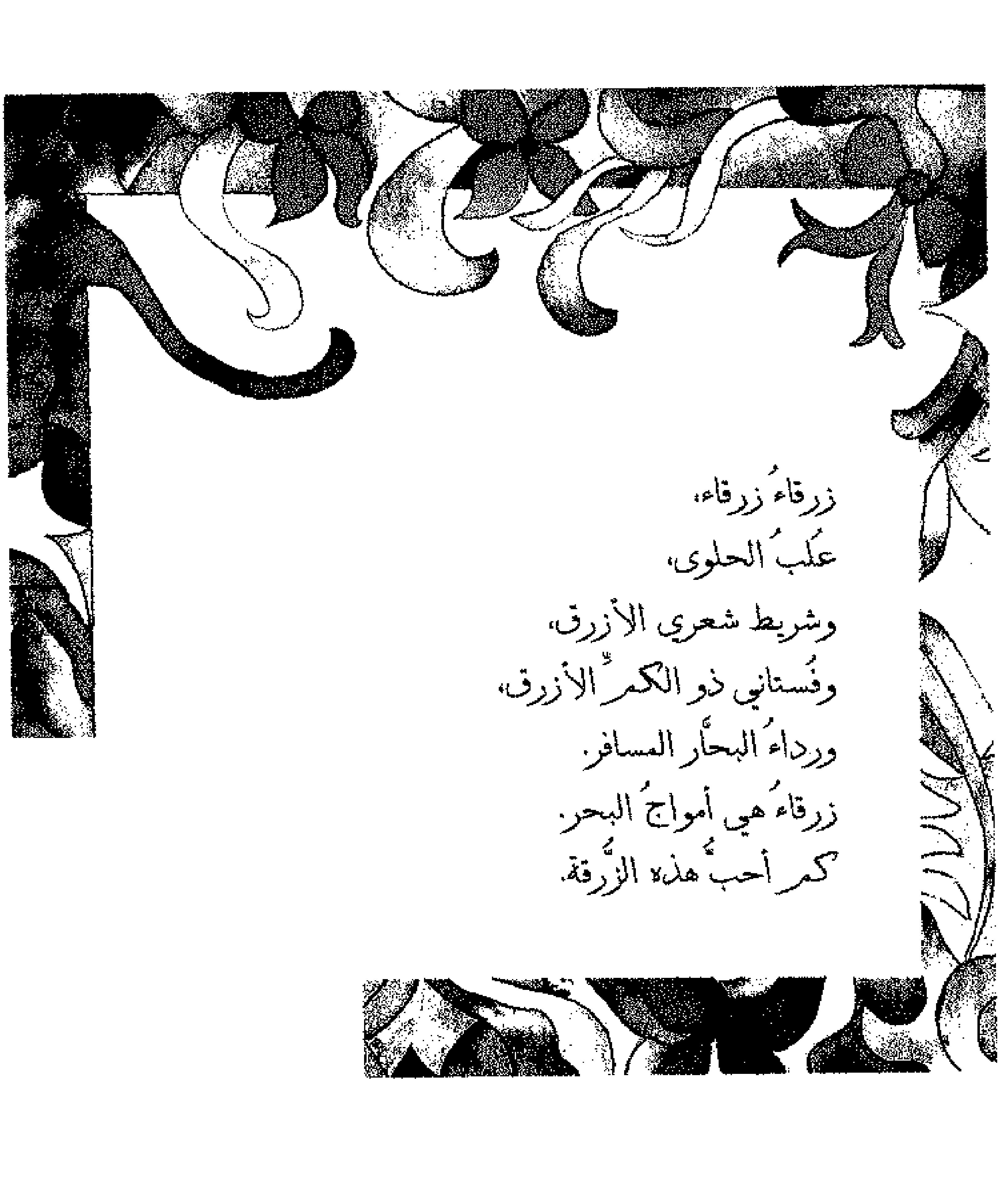
زرقاء شرفة منزلي

وغلافُ قصة ستِّ الحُسن،

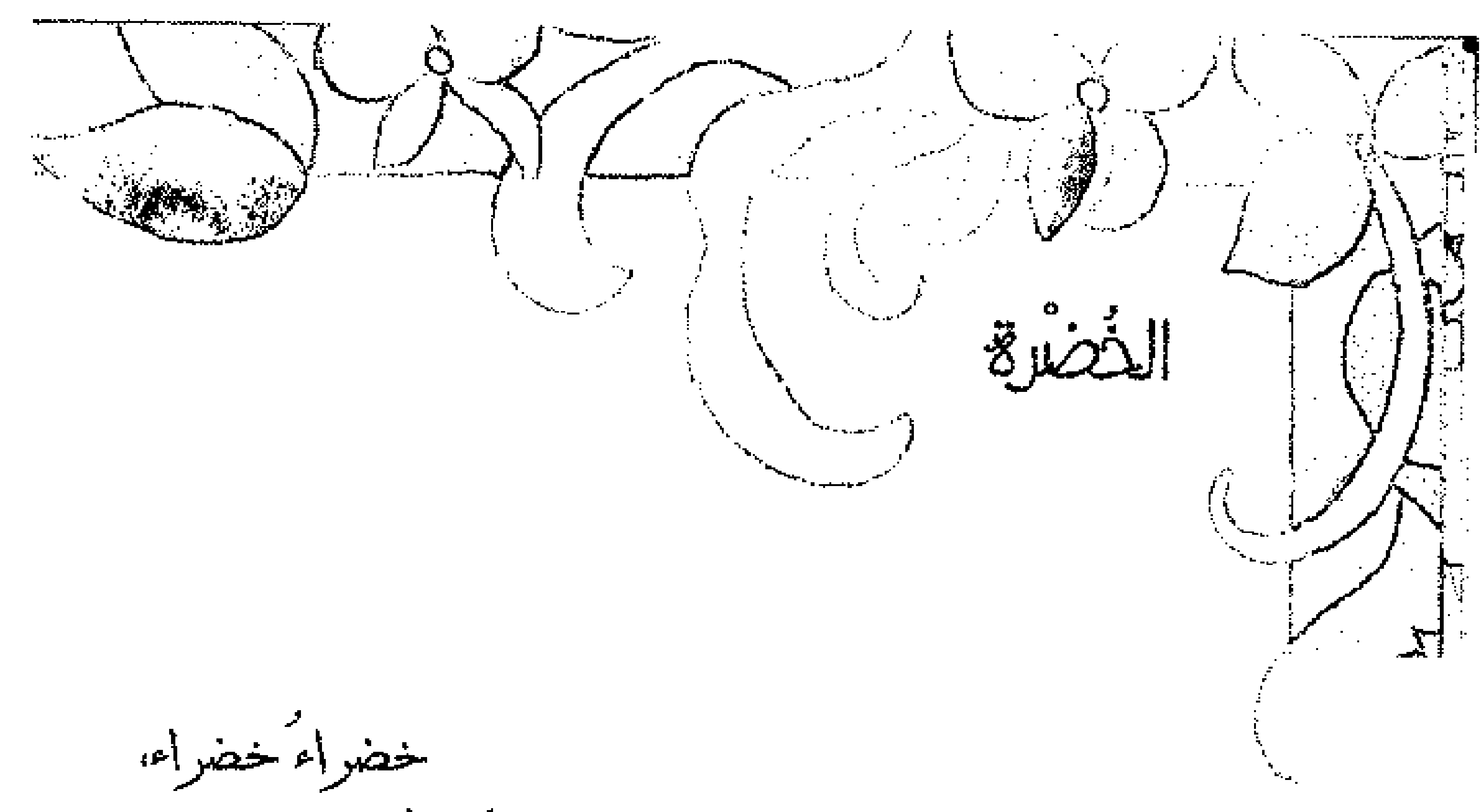
والزَّهرة المرسومةِ على حوائطِ حجرتي.

وحينما أجلسُ على سجادة الصلاة،

أبحثُ عنك يا مئذنة المَسجد الأزرق.



زرقاءُ زرقاء،
علَبُ الحلوى،
وشريط شعري الأزرق،
وفُستاني ذو الكمِّ الأزرق،
ورداءُ البحّار المسافر.
زرقاءُ هي أمواجُ البحر.
كم أُحبُّ هذه الزُّرقة.



الخُضْرة

خضراءُ خضراء،

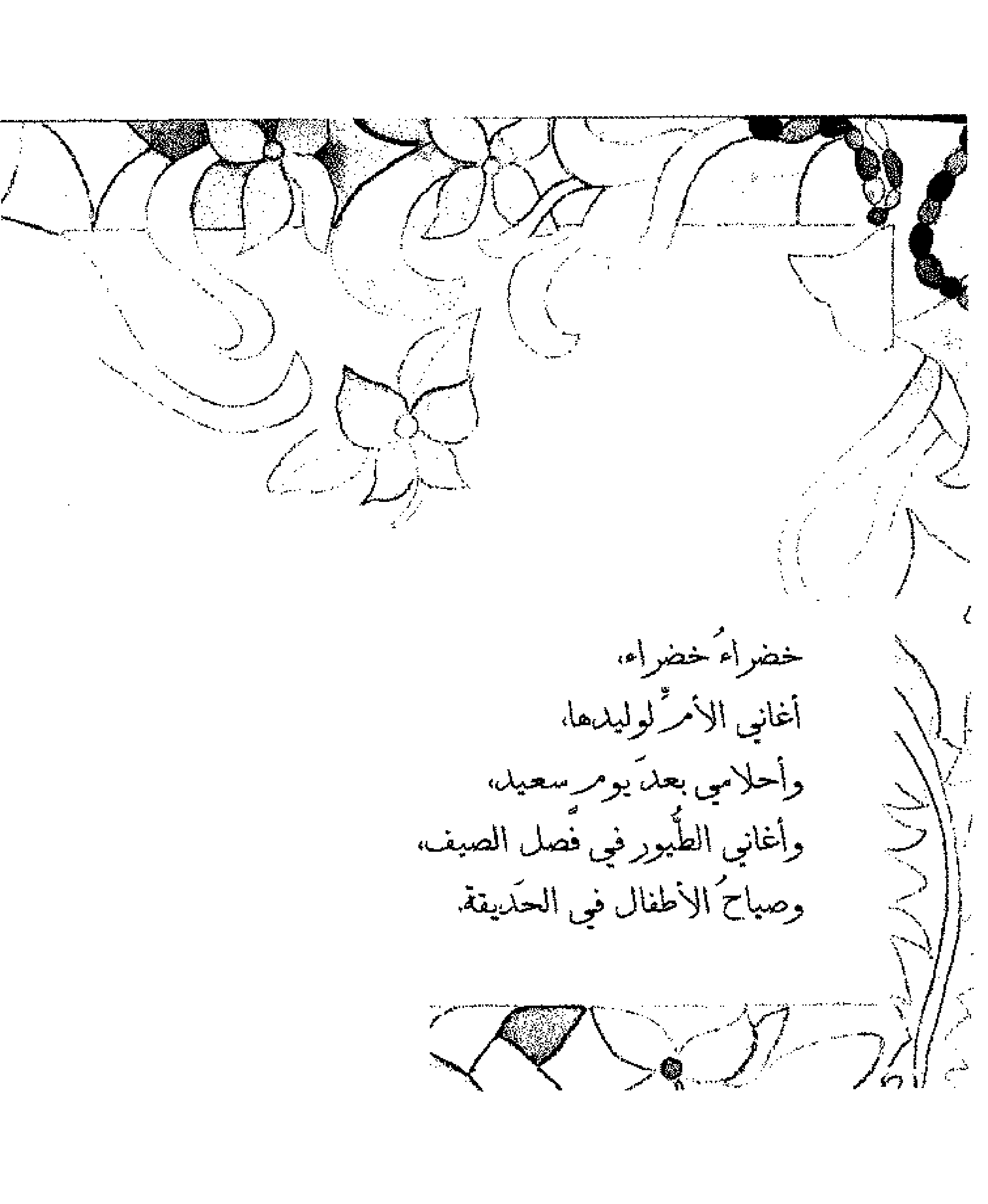
عُيونُ حوريةِ البحر،

والواحةُ الغَنَّاء في وسَطِ الصحراء،

ولونُ العُشبِ في الحديقة.

خضراء أريكةُ جدتي القديمة

ومِسبحتها الطويلة.



خضراءُ خضراء،
أغاني الأمِّ لوليدها،
وأحلامي بعدَ يومٍ سعيد،
وأغاني الطُّيورِ في فصلِ الصيف،
وصياحُ الأطفالِ في الحَديقة.

خضراءُ خضراء،

القصةُ التي حكتها لي أمي بالأمس،

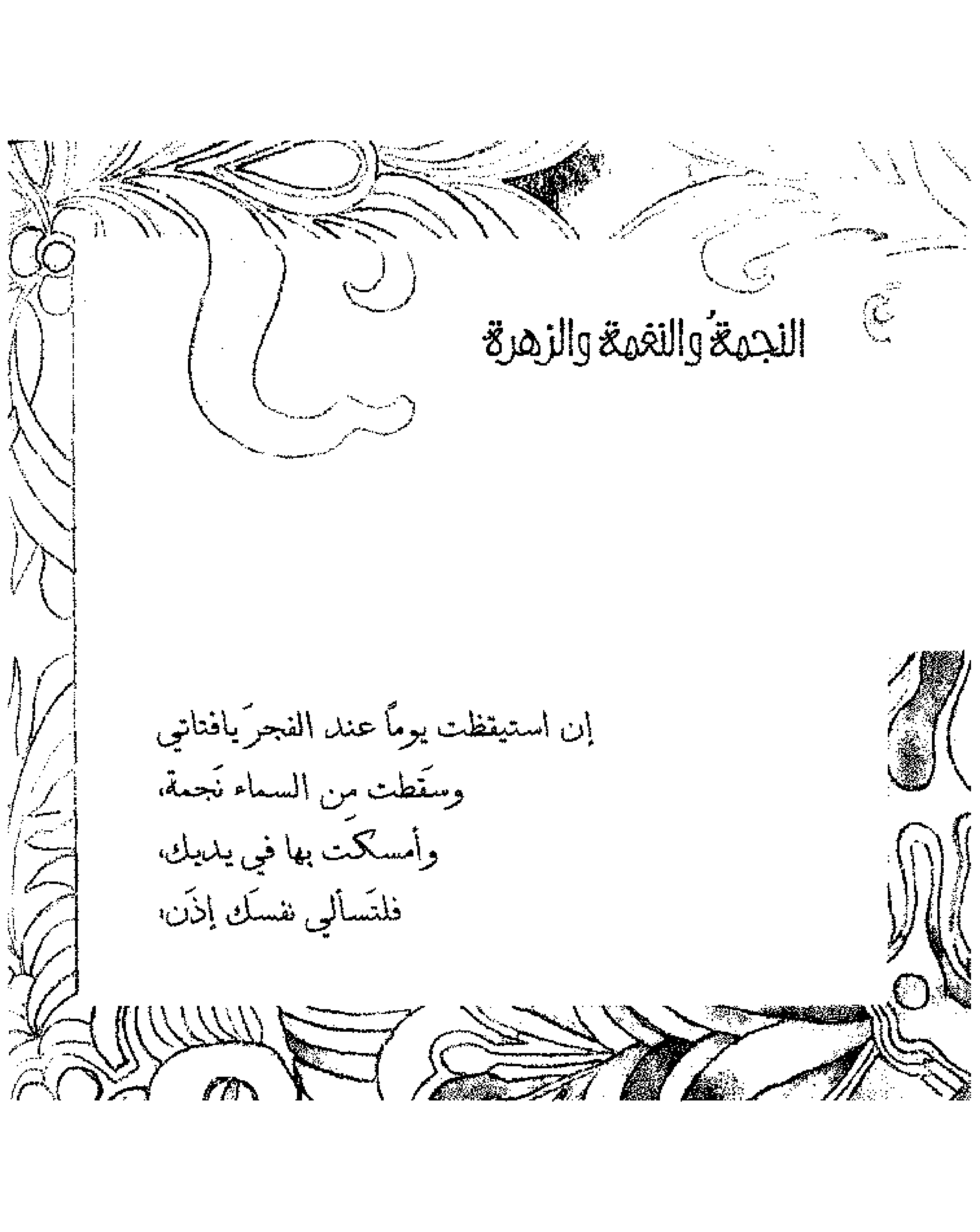
والقصةُ التي ستحكيها لي غداً.

خضراء أيتُها البلادُ البعيدةُ التي لم أزرها،

والبحورُ الفسيحةُ التي لم أرها.

كم أحبُّ هذه الخضرة.





النجمةُ والنغمة والزهرة

إن استيقظت يوماً عند الفجرَ يافتاتي
وسَقَطت مِن السماء نَجمة،
وأمسكت بها في يديك،
فلتَسألي نفسك إذَن،



هل أمسِك بالنَّجمة،

أم أعيدَها إلى قُبةِ السماء

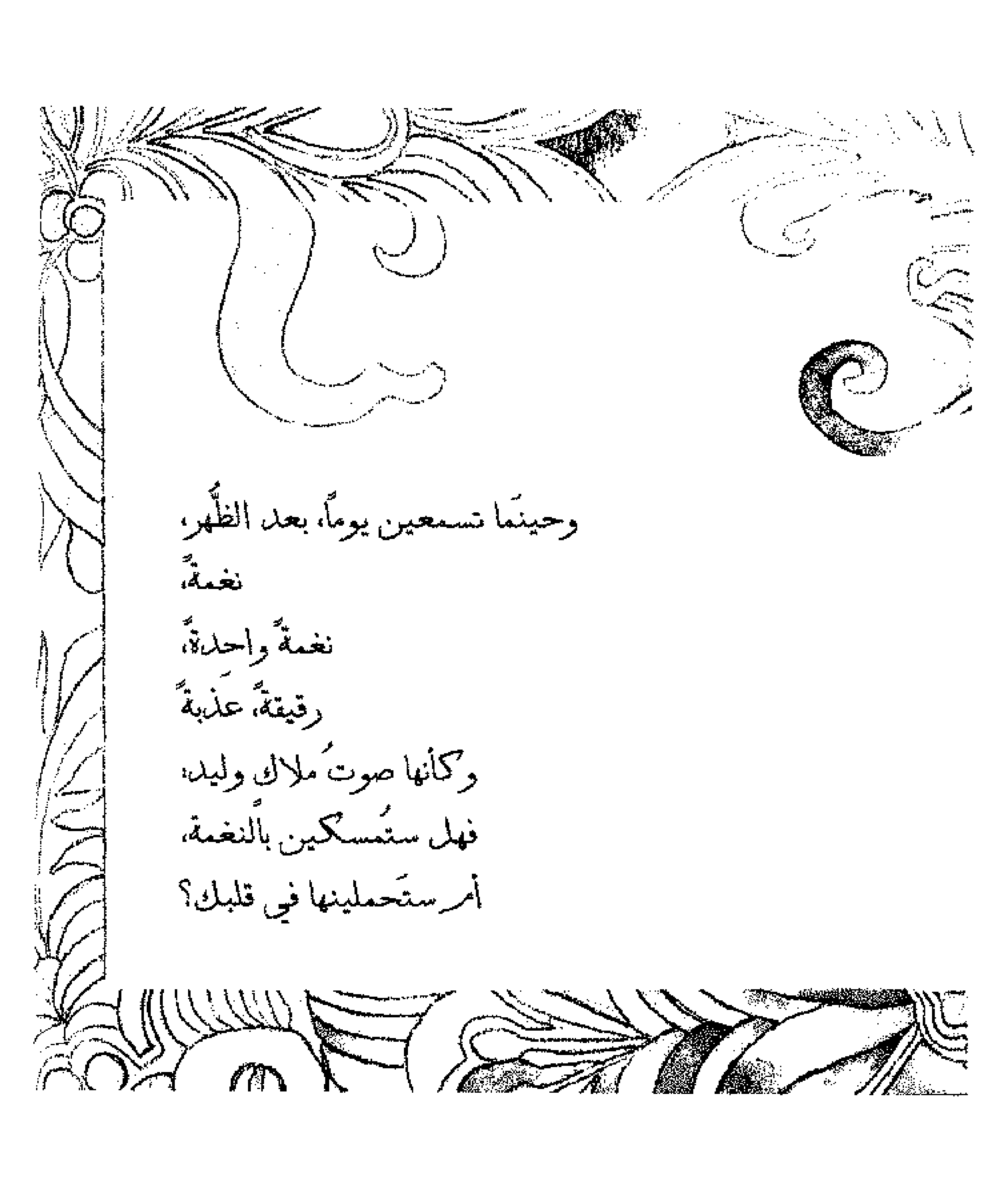
تسبح بالقرب من القَمر،

ثم أجلس أنا على قمة تل صغير

بجِوار زهرة،

أنظر إليها

وأسمع غناء الطير وصوت الريح؟



وحينَما تسمعين يوماً، بعد الظُّهر،
نغمةً،
نغمةً واحدةً،
رقيقةً، عَذبةً
وكأنها صوتُ ملاكٍ وليد؛
فهل ستُمسكين بالنغمة،
أم ستَحملينها في قلبك؟



والزهرةُ الحمراء
التي ابتَسمت لك بالأمس،
الزهرة الحمراء
التي رأيتها في الطريقِ إلى المَدرسة،
هل ستَقطُفينها؟
أم ستنظُرين إليها وتقولين:
"سُبحان الله،
جميلٌ يحبُّ الجمال".



في شم النسيم

في الصباح

بَيْضة!

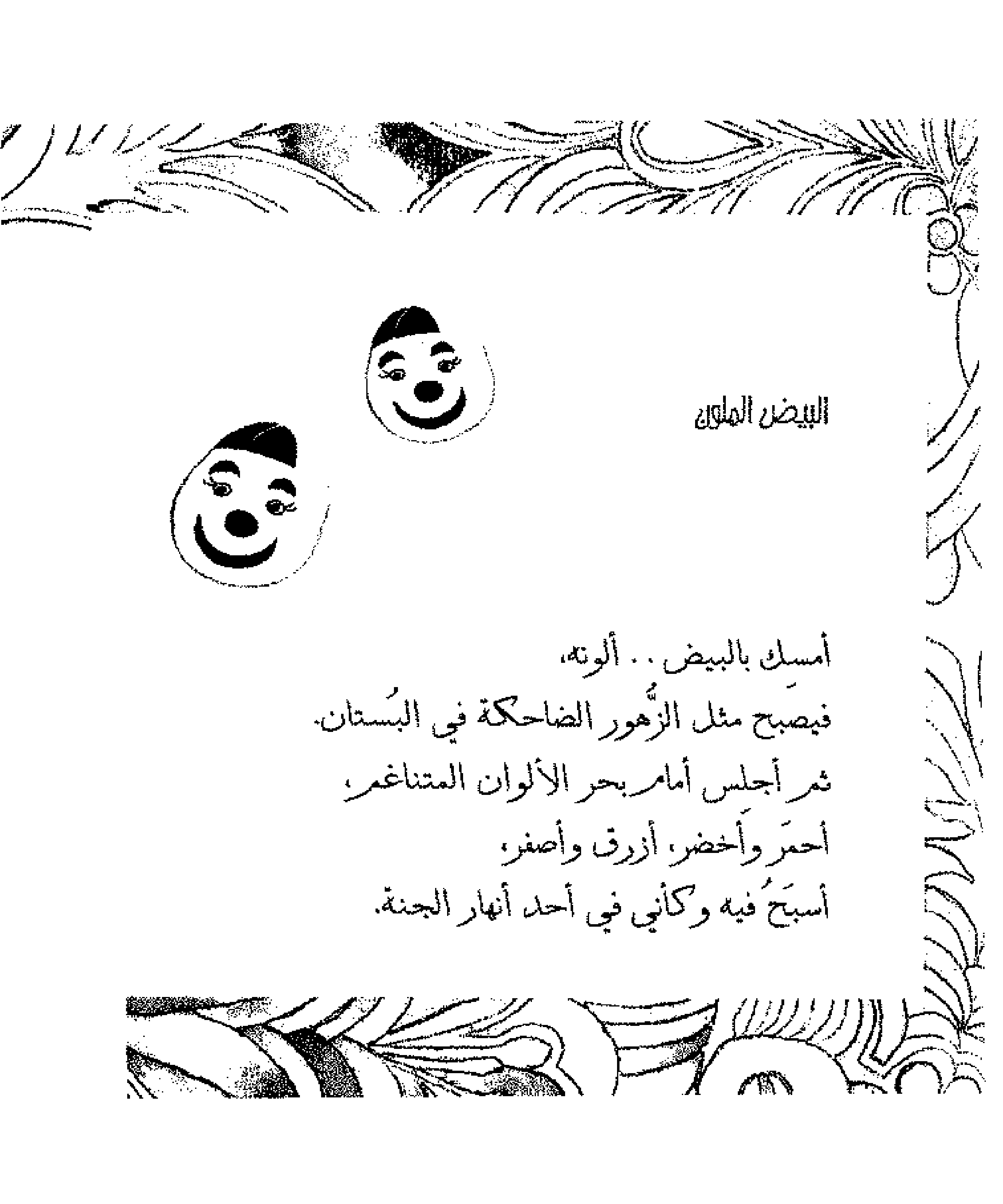
بيضة، ياإلهي، بَيضاء ناصِعة،

أمسكتها بأصابِعي،

ثم نَظرتُ إلى السماء الزرقاء،

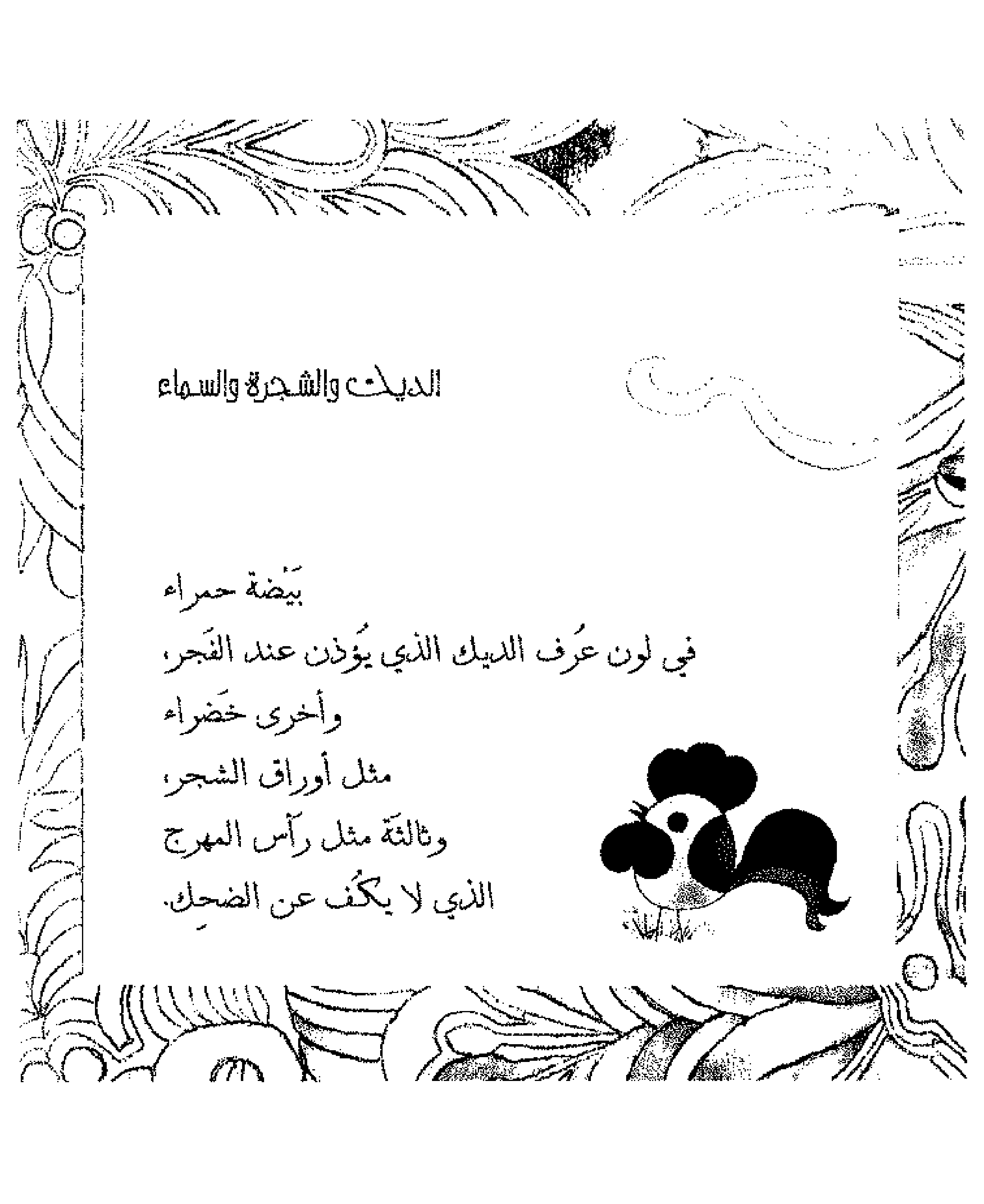
فابتَسمت الملائِكة.





البيض الملون

أمسك بالبيض .. ألونه،
فيصبح مثل الزُّهور الضاحكة في البُستان.
ثم أجلس أمام بحر الألوان المتناغم،
أحمرَ وأخضر، أزرق وأصفر،
أسبحُ فيه وكأني في أحد أنهار الجنة.

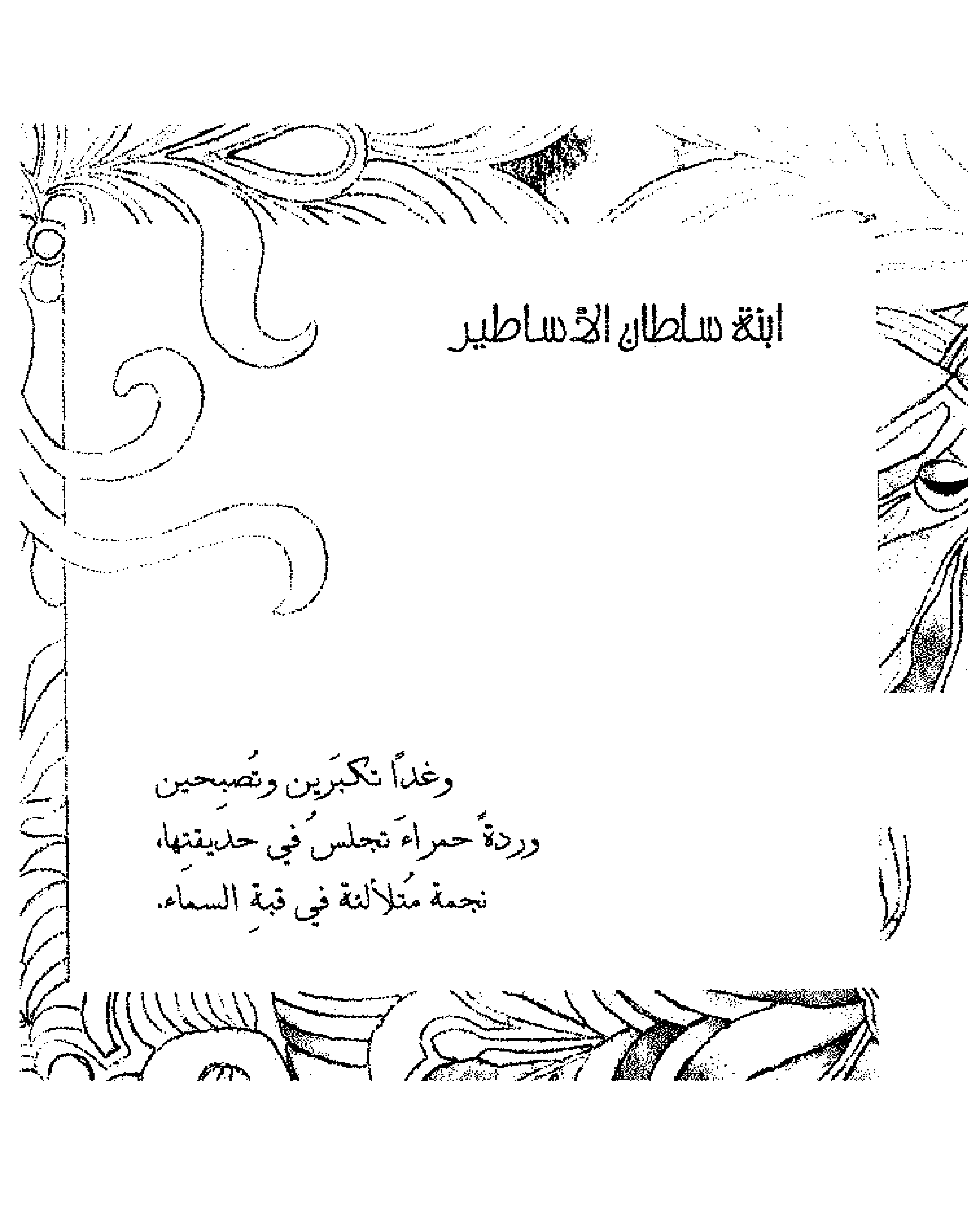


الديك والشجرة والسماء

بَيْضة حمراء
في لون عُرف الديك الذي يُؤذن عند الفَجر،
وأخرى خَضراء
مثل أوراق الشجر،
وثالثة مثل رأس المهرج
الذي لا يكُف عن الضحِك.



وأنت أيتها البَيْضة السوداء
ذات النُقَط البَيضاء،
ألا تُشبهين قُبة السماء
في ليلة صافية،
ليلة مرصَّعة
بالنّجوم السَّاطعة؟

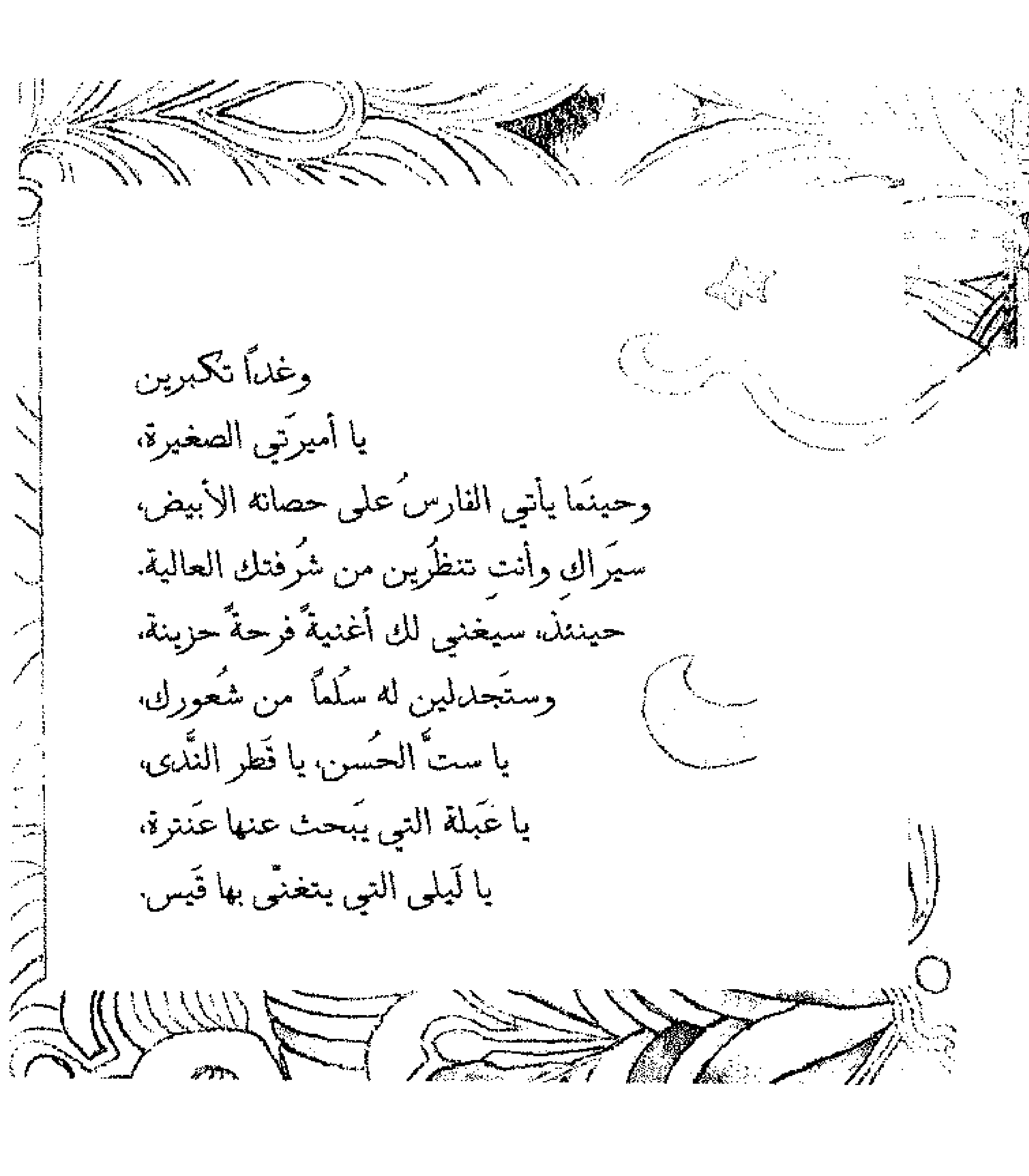


ابنة سلطان الأساطير

وغداً تكبَرين وتُصبِحين
وردةً حمراءَ تجلسُ في حديقتِها،
نجمةً مُتلألئةً في قبةِ السماء.



وعندمَا تسيرين على الأرضِ المنبسطة الخضراء
ستنظرُ لكِ الأشجارُ والطيورُ،
ثُمَّ تغرد أغنيةَ الحياةِ والفرح.



وغداً تكبرين
يا أميرَتي الصغيرة،
وحينمَا يأتي الفارسُ على حصانه الأبيض،
سيَراكِ وأنتِ تنظُرين من شُرفتك العالية.
حينئذ، سيغني لك أغنيةً فرحةً حزينة،
وستَجدلين له سُلماً من شُعورك،
يا ستّ الحُسن، يا قَطر النّدى،
يا عَبلة التي يبَحث عنها عنَترة،
يا لَيلى التي يتغنّى بها قَيس.



وغداً تكبرين،

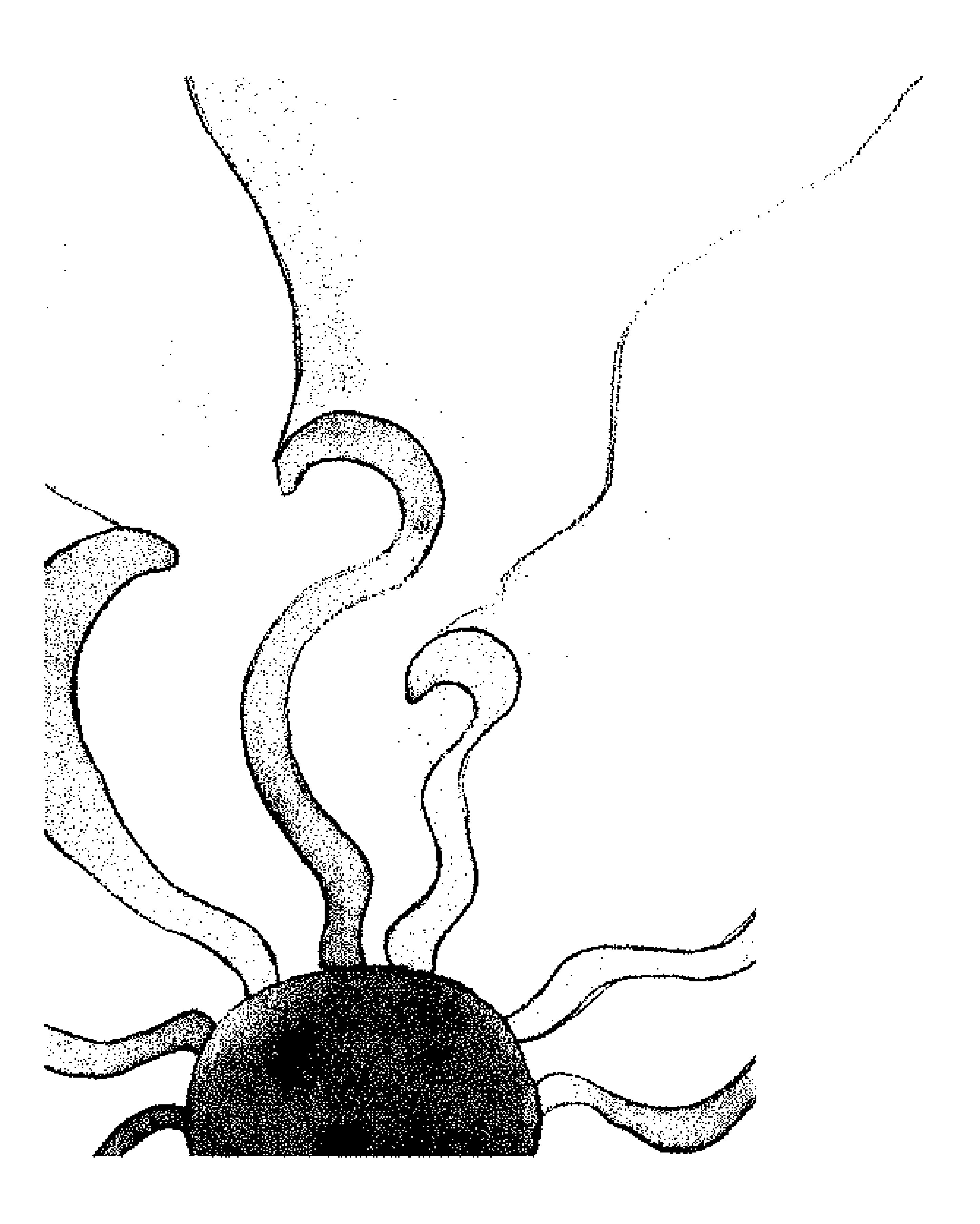
وحينئذ ستُودّعين لهوَ الأطفالِ وألعابَهم،

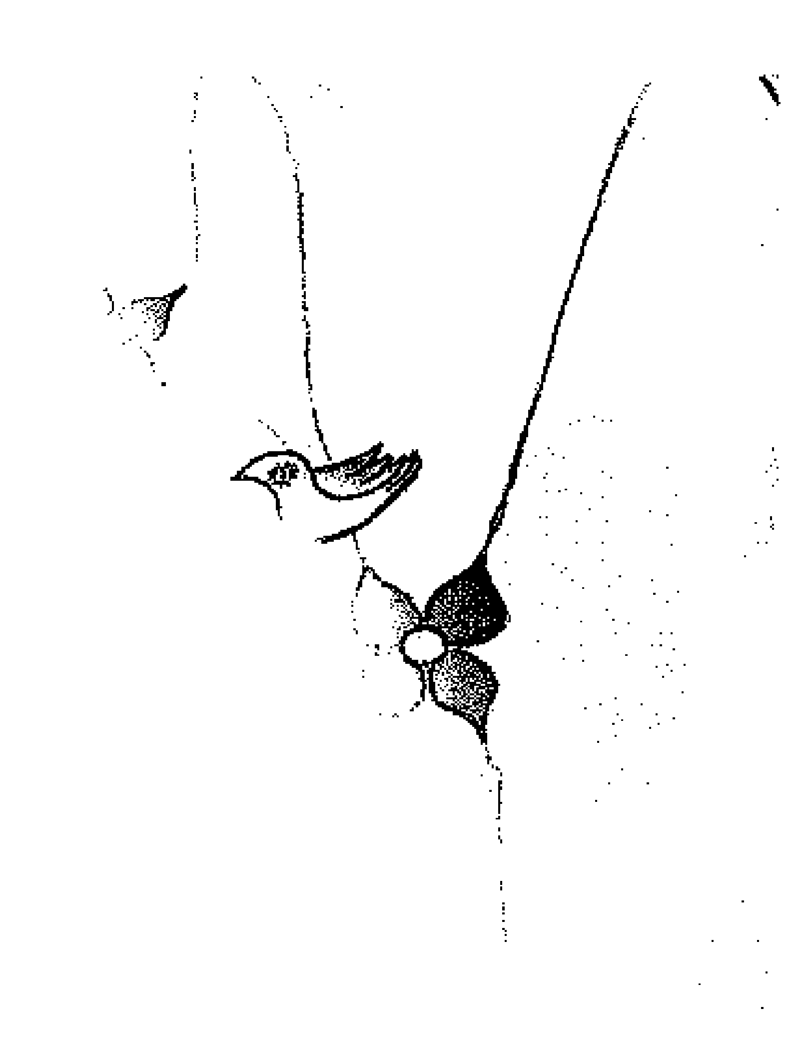
والنومَ في الظهيرةِ معَ الملائكةَ،

والأحلامَ الملونةَ التي لا يَعرفها أحدٌ سواكِ،

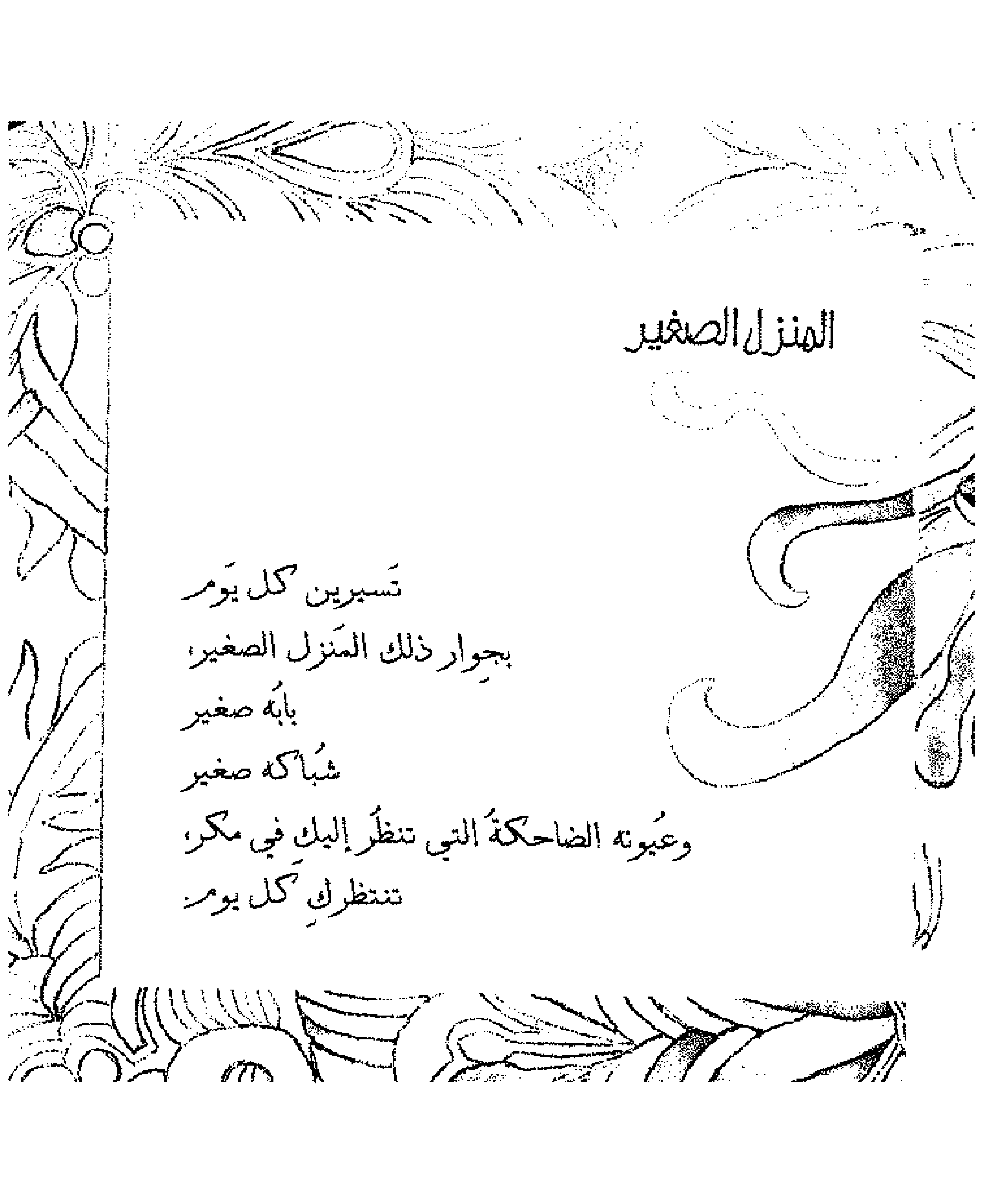
وأفراحَ الطفولةِ، وأحزانها الصغيرة،

ثُمّ تَبتسمين . . . يا ابنةَ سُلطان الأساطير.





بعد الطفولة



المنزل الصغير

تَسيرين كل يَوم
بجِوار ذلك المَنزِل الصغير،
بابُه صغير
شبُاكه صغير
وعُيونه الضاحكةُ التي تنظُر إليكِ في مكر،
تنتظِركِ كل يوم.



حديقتهُ الخضراءُ تهمس لكِ حيناً
وتُغني لك حيناً،
وحتى العُصفور...
حتى العُصفور على الشجرة يعرف صوت خُطواتِك،
ذلكَ المنزل الصغير،
وستجلسين في حديقتهِ يوم عُرسك
وتُغني لكِ الملائكةُ والنجوم،
وترقُص معك كل الأزهار،
في يوم عُرسك.

في رمضان

السُّحور

ياسُلطان النوم
ذا الابتسامة الباهِتة والبطن المنتفخة،
ابتعد عني.. ابتعد..
حتى أستيقِظ لأتناول الطعام،
وأسمع صوت الديك الرشيق
يؤذِّن لنور الفجر.



الصوم

نزلت الملائكةُ من السماء
في لون ذَيل الطاووس،
وغنت لك أناشيد الصفاء،
يا صغيرتي الصائمة.



الصلاة

أتدثر بالبياض

وأغطي رأسي،

ثم أدخل في عالم النور السماوي،

وكأنني طفلةٌ تولد بين السحب.



نعم! نسير ونسيرُ في طريق الجوع وصحراء

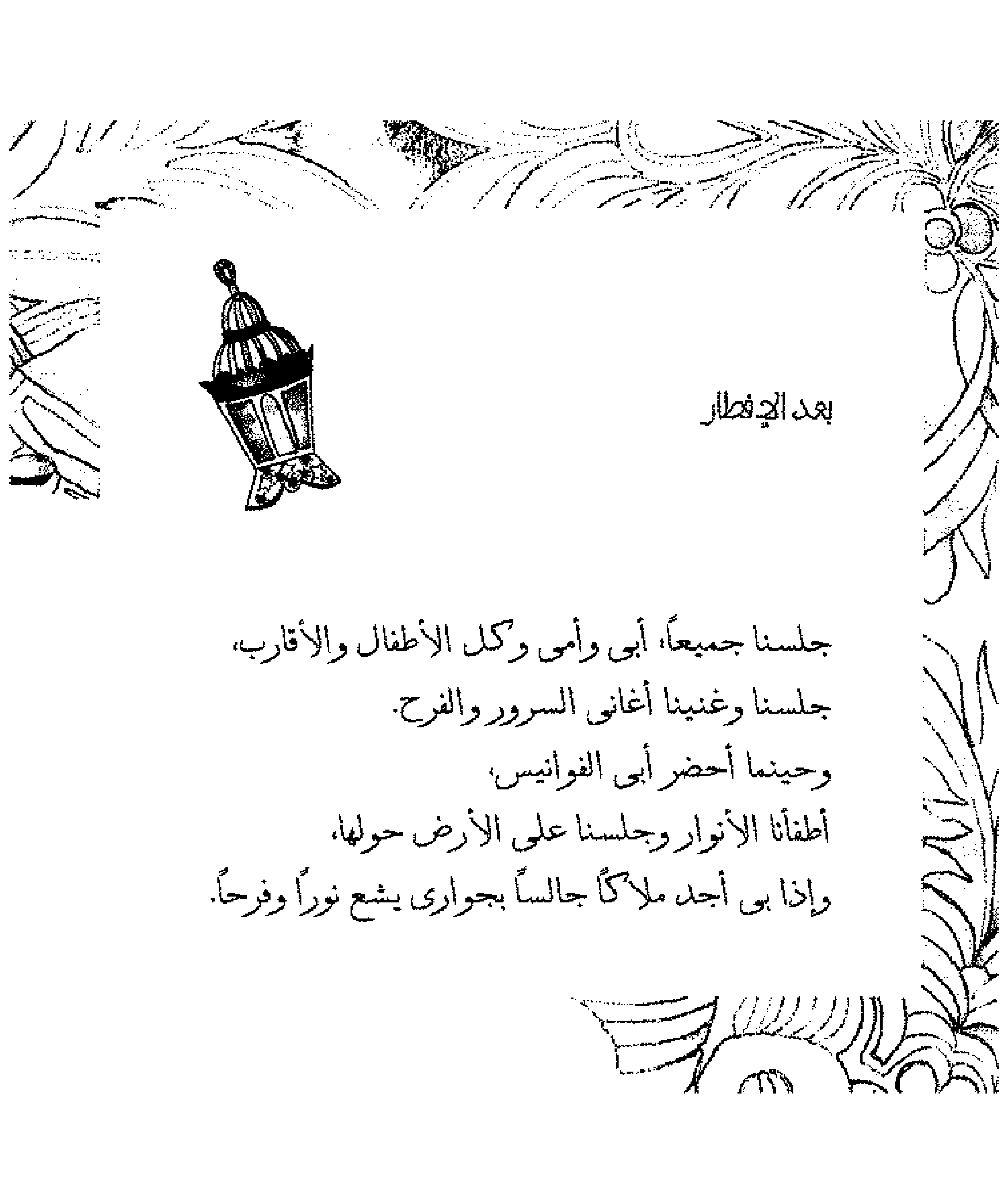
ولكننا نرتدى ثوب الصبر والسـ

إخوتنا الفقراء والجوعى والمظلـ

تجمع الشمس أشعتها وتنام كا

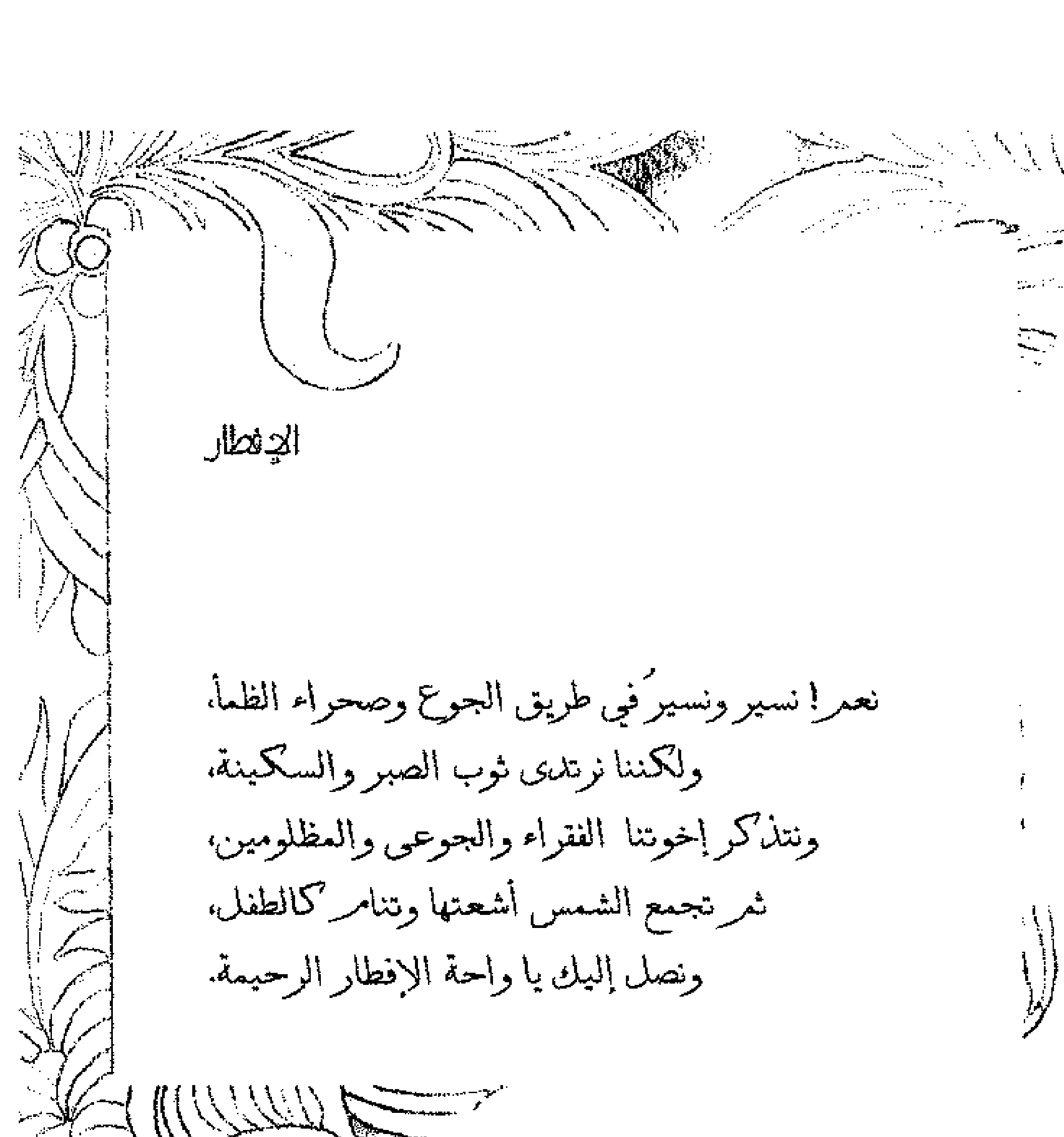
ونصل إليك يا واحة الإفطار الر





بعد الإفطار

جلسنا جميعاً، أبى وأمى وكل الأطفال والأقارب،
جلسنا وغنينا أغانى السرور والفرح.
وحينما أحضر أبى الفوانيس،
أطفأنا الأنوار وجلسنا على الأرض حولها،
وإذا بى أجد ملاكاً جالساً بجوارى يشع نوراً وفرحاً.



الإفطار

نعم! نسير ونسير في طريق الجوع وصحراء الظمأ،
ولكننا نرتدي ثوب الصبر والسكينة،
ونتذكر إخوتنا الفقراء والجوعى والمظلومين،
ثم تجمع الشمس أشعتها وتنام كالطفل،
ونصل إليك يا واحة الإفطار الرحيمة.



طار

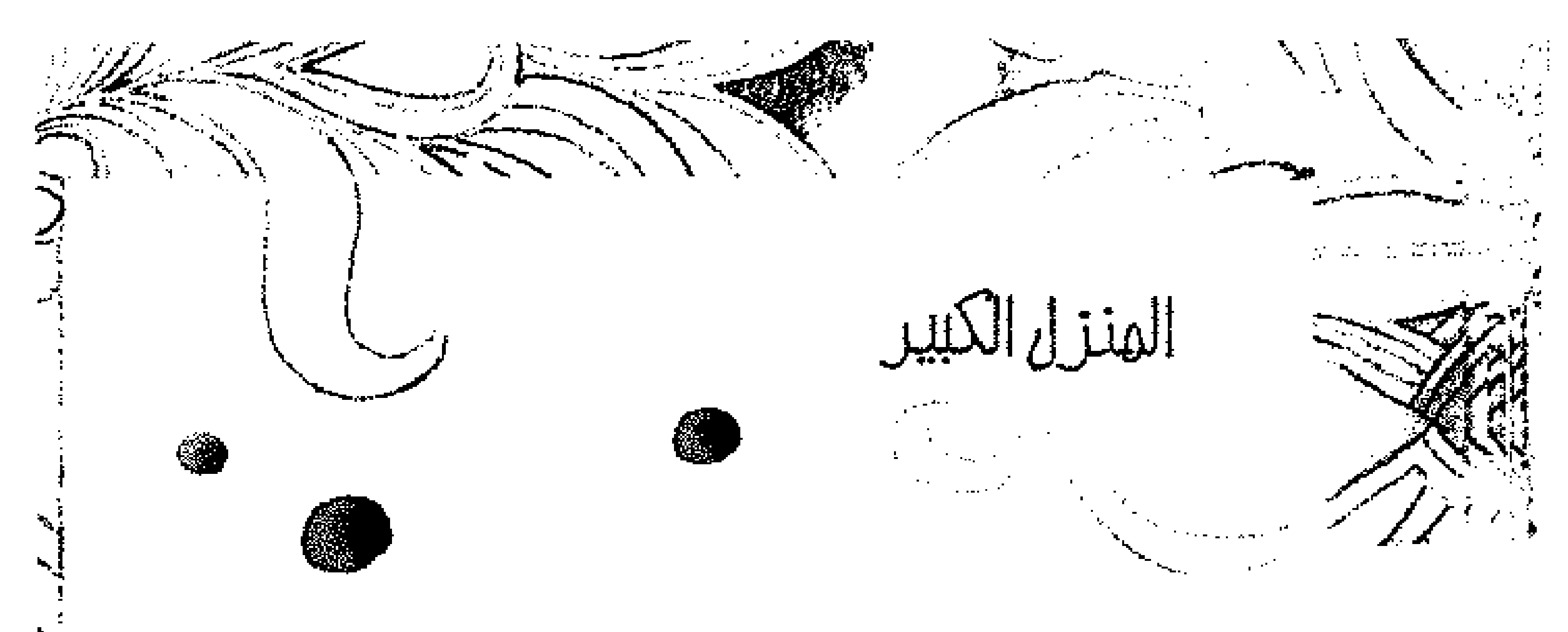
جميعاً، أبى وأمى وكل الأطفال والأقارب،

وغنينا أغانى السرور والفرح.

أحضر أبى الفوانيس،

لأنوار وجلسنا على الأرض حولها،

، أجد ملاكاً جالساً بجوارى يشع نوراً وفرحاً.



وستجلسين بعد الفجر في غرفتك
تتذكرين أحلامِ الطفولةِ الملونة،
وكيف مرت السنون والأيام.



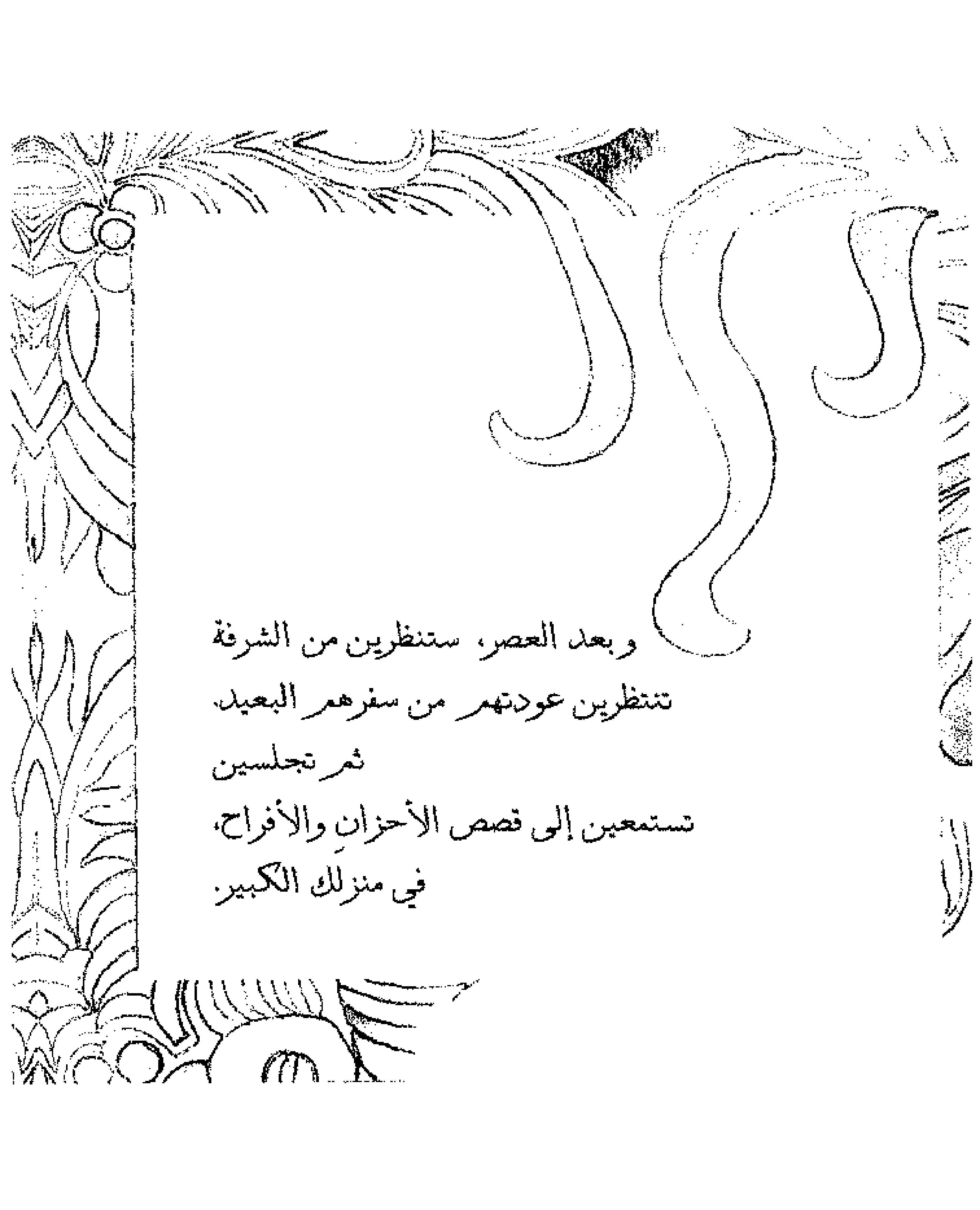


وبعدَ الظهر،

سيعود أطفالك من الحديقة،

فيجلسون على ركبتيك، وتقبلينهم واحداً واحداً،

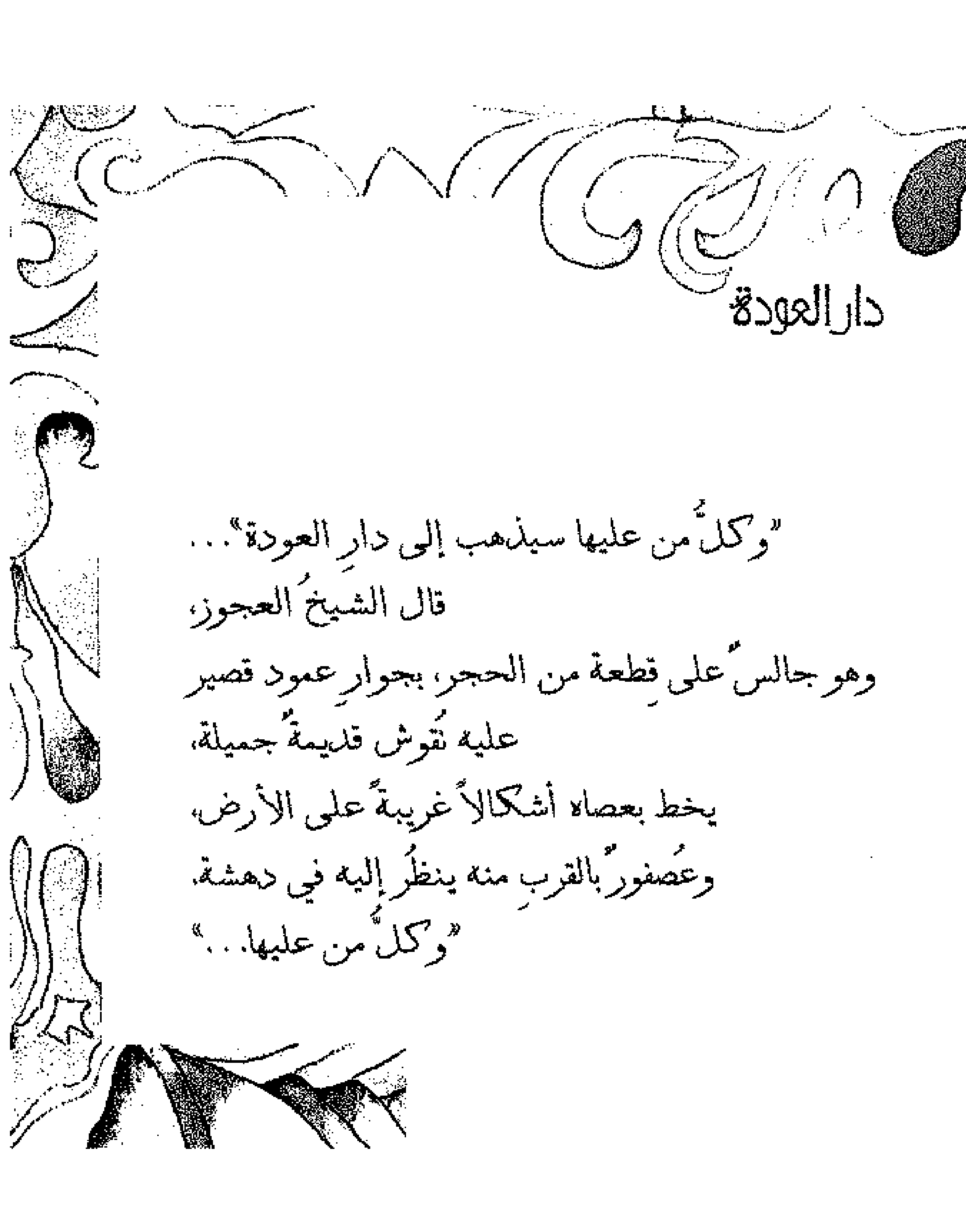
ثم تحكين لهم قصص الفروسية والحب والشهداء.



وبعد العصر، ستنظرين من الشرفة
تنتظرين عودتهم من سفرهم البعيد،
ثم تجلسين
تستمعين إلى قصص الأحزانِ والأفراح،
في منزلك الكبير.



وفي نهايةِ اليومِ،
بعدَ المغربِ،
سيسطعُ القمرُ،
وستطهين لهمُ الطعامَ،
فيجلسُ الجميعُ حولَ المائدةِ
ينظرُونَ إلى وجهكِ الجميلِ،
يشعُّ منه الدفءُ وتتوّجه السكينةُ.



دار العودة

"وكلٌّ من عليها سيذهب إلى دارِ العودة"...

قال الشيخُ العجوز،

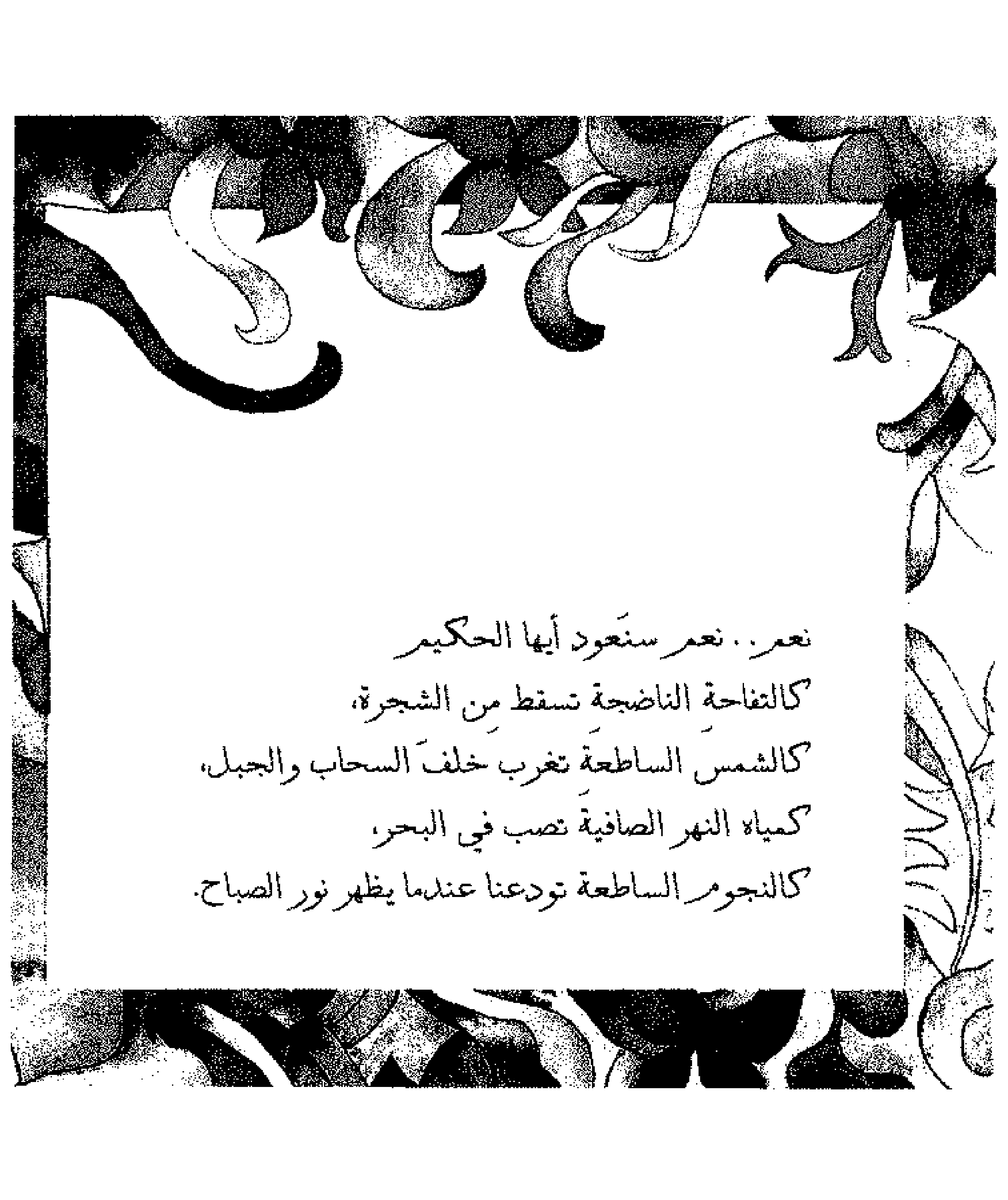
وهو جالسٌ على قِطعة من الحجر، بجوارِ عمود قصير

عليه نُقوش قديمةٌ جميلة،

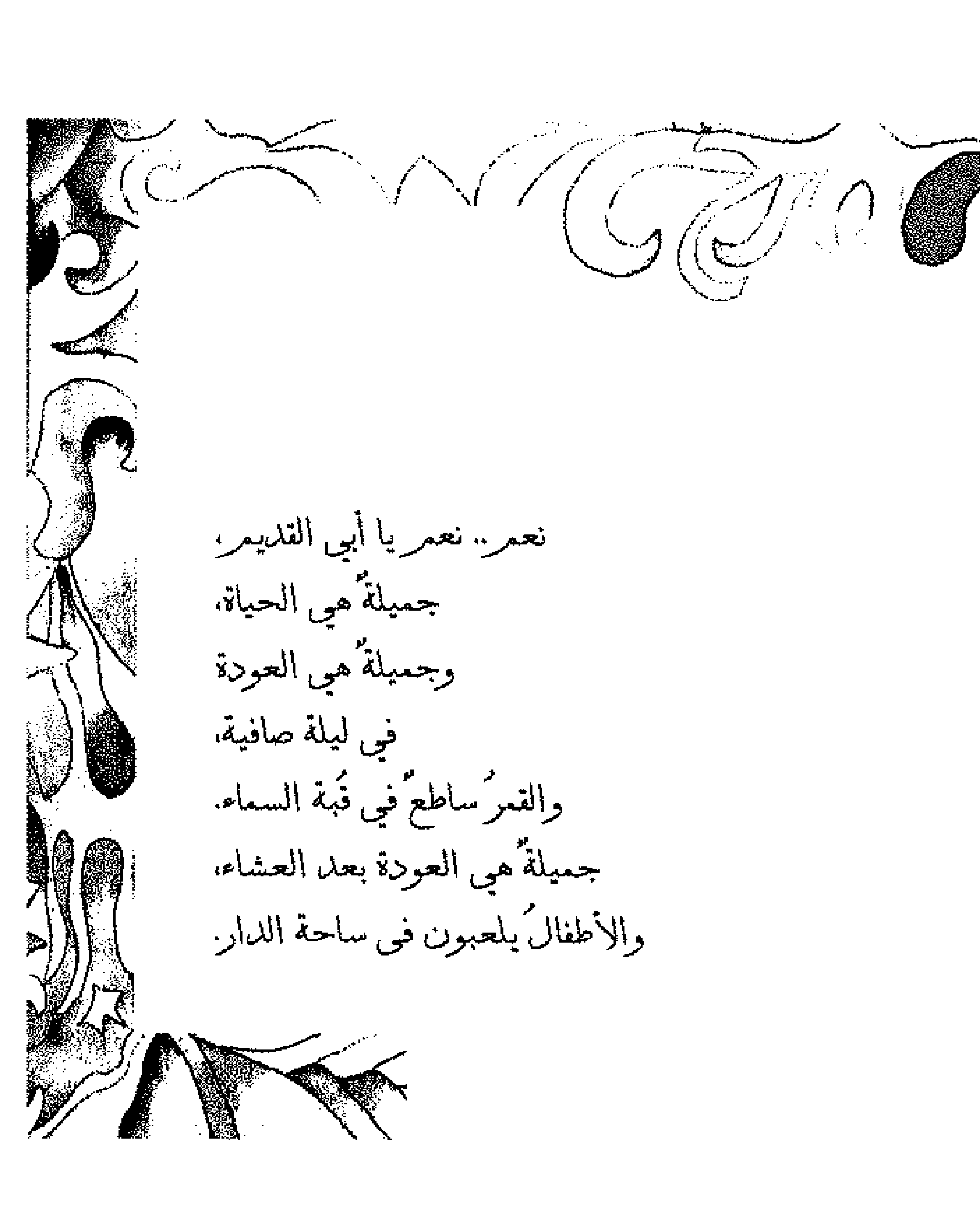
يخط بعصاه أشكالاً غريبةً على الأرض،

وعُصفورٌ بالقربِ منه ينظرُ إليه في دهشة.

"وكلٌّ من عليها.."



نعم.. نعم سنعود أيها الحكيم
كالتفاحة الناضجة تسقط من الشجرة،
كالشمس الساطعة تغرب خلف السحاب والجبل،
كمياه النهر الصافية تصب في البحر،
كالنجوم الساطعة تودعنا عندما يظهر نور الصباح.



نعم.. نعم يا أبي القديم،
جميلةٌ هي الحياة،
وجميلةٌ هي العودة
في ليلة صافية،
والقمرُ ساطعٌ في قُبة السماء.
جميلةٌ هي العودة بعد العشاء،
والأطفالُ يلعبون في ساحة الدار.



بعد أن انتهت نور من قراءة القصائد جلس الأطفال صامتين، وكانت الشمس قد بدأت تغرب، ولكنها ظهرت من خلف السحاب ذات ألوان جميلة ساطعة، وظلت تغوص في الأفق إلى أن اختفت تماماً. فأذن الديك حسن بصوت خافت رقيق.



"القصائد ليست صعبة،
بل هي سهلة وجميلة مثل الأغاني."

هكذا قالت نور عندما اعترض الجمل ظريف
على أن تقرأ لهم مجموعة قصائد بدلاً من
الذهاب معهم إلى جزيرة الدويشة،
وأضافت: "هذه القصائد كتبها لي أبي في
عيد ميلادي، واسمها...

أغنيات إلى الأشياء الجميلة



دار الشروق